أنا وأبي ظلّنا الشّجر الغريب

عبد الكريم النّاعم

كان بين وجهي المكدود والرؤى مسافة الخريف
وكنت أفرد الآلام ،
اقرأ المنغصات ،
ألمح الزغب الصغار يكبرون ،
ـ والحياة في بلادنا تلاحق الانسان ـ
ما الذي يفعله الجريح حين تأتي حربة
السنان كل صبح توسع الجراح ، تشرب
الدم المساق في الاوردة المغربة ؟!
أعترف ،..
وقفت عاجزا عن اللحاق ،
أرفض المساومة
وكلما امتلأت بالمقاومة
أرى الصغار يهزلون ،
والدفاتر البيضاء تحرث الحروف وجهها ،
والعمر حكمة رخيصة ..،
فأرتمي على بساط أن العمر رحلة قصيرة
يدهمني شيء من الاحساس بالعدم
ويوشك القلم
أن يستريح في قرارة المرار
وكان بين وجهي المكدود والرؤى مسافة الرغيف
كدت أن أفر من أسار هذا القهر حين قيل لي :
« أبوك في خطر » ..
حوصرت ،
ضاقت الحويصلات عن شهيقها ،
● أبي الذي تعشقته الشمس ، والدروب
والرياح ، والسفر ؟!
● أبي الذي تعشقته دورة الفصول ؟.
وصار بين وجهي الحزين والرؤى مسافة الوصول .
● وقفت فوق رأسه ،
وكان لونه المزرق غيمة مسافره
وكنت عبر ضيق صدره أدور خلف الذاكره
وبين جرحه الخفي ، والزفير ، تحبس الطيور
زرقة الافق
ويكبر القلق
● أبي هنا ، ورحلة السنين عاما تملأ الحقول ،
والفصول ،
خلف كل شوكة يد ،
وخلف كل صخرة زند ، قوي ،
خلف كل ذرة من التراب قطرة من عرق ،
وفرحة من أمل ما جاء ،
يقبل الغبار حين تدبر الامال ..، وهو
واقف بين الصقيع ، والهجير ، يبدأ الطواف
كل مرة من نقطة في البال ،
كلما تقصفت أعاد نصبها ،
ستون عاما في براري الله ..، كلما تمزقت
أعاد رتقها ،
ستون عاما خلف فضلة من لقمة ،
وسترة للجسد الصخري ،
أي بؤس ؟!
أي صبر مفزع ؟!
وأي جرح تحمل الان وانت صامت ؟ !
● أدار بي عينيه ، وابتسم
ومزق الالم
بسمته ،
لمسته ،
وكان بين وجهي الحزين والرؤى مسافة الصقيع
بينهما .. اني رحلت في ستينه ،
وكانت الستون فصلا واحدا .
مشفى الحكومة مترع بالاشقياء ،
وبالذين يواجهون الموت في صمت مرير ،
فقراء هذا البلد المسلوب يدفعون عمرهم ،
وحين يمرضون ، يهملون ،
كنت عاجزا الا عن البكاء ، والغضب
تمتد بين وجهي المكدود والرؤى
مسافة اللهب
● أفاق من رقدته ،
وأعشب الامل
تدفقت عيناه ،
ـ « يا أبي أرجوك لا تبك » ،
وقال وهو يمسح الدموع ، والبكاء ملء حلقه :
« أعرف أنني ما عدت قادرا على العمل » .
● أدرت وجهي باتجاه الافق ،
كان بين وجهي المكدود والرؤى ، وبينه ،
مسافة الصخور ، والحصى ،
وكنت مفردا ،
كالشجر الغريب ...